الجزء الاول
المجلد السادس والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي

رجب ١٤٠٥ هـ
آذار ١٩٨٥ م

الإسلام وحرية الرأي

الدكتور جميل سعيد

(عضو المجمع)

ان الحديث عن حرية الرأى في الإسلام ، موضوع طويلٌ متشعب ، وقد حاولتُ جاهداً ، أن الَّم اطرافه ، وآتى بصور اتناوله فيها ، وعساني اوفَّق في تبيان هذا الموضوع الهامّ ، الذي شغل الناس ، ومازال يشغلهم ، في كلّ مكان ، وفي كل زمان .

وابين قبل الخوض فيه : انني سأتحدّث عن عناصر هامّة اولاها الإسلام عنايته ؛ في نواحيها النظريّة والتشريعية والعملية . ثم ابيّن اثر هذه الحريّة في حياة المسلمين ؛ وفي طرق تفكيرهم ، فيما تناولوه من امور تتعلّق بالنواحي العلمية عامة ، والنواحي الاجتماعية والسياسيّة .

وسأشير — في حديثي هذا — اشارة الى حالة العرب المتعلقة بهذه الناحية ، قبل مجيئ الإسلام ، ثم اشير الى اعتماد الإسلام على العقل ؛ إذ وجّه الخطاب اليه ، واشاد بتعظيمه . وفضّل العقلاء ؛ اهل التفكير والعلم على غيرهم من الجهّال والمقلّدين . ثم ابين اعتماد الإسلام على حرّية الرأى في الإعلان عمّا يُعمِلُ به الناس عقولهَم ؛ لأن حريّة الرأى هذه هي السبيل الوحيد لمعرفة ما يدور في عقول الناس ، وفي نفوسهم وخواطرهم ، مما يكون له ابعد الأثر في حياتهم ؛ في باطنهـــا ، وفي ظاهرها ، وفي نواحيها النظرية والعملية .

وابين ان حرية الرأى هذه ، ولاسيما ما يتعلق بالنواحي السياسية ، قد كُبحتْ بعد عصر الخلفاء الراشدين ، ثم عادت فانبعثت قويّة في العهد العباسيّ ، فشملت الجدل في امور الحياة السياسية والإجتماعية ، والدينية ، والعلمية . واصبحت المناظرة هي الفيصل في التفرقة بين امر وامر . واصطبغ بها التأليف العلمي بشتى فروعه ، وسأوليها بشيئ من التفصيل لأهمّيتها هذه .

جاء الاسلام في بلاد العرب ، والظلم عندهم من صفات القوّة ، التي يستحق صاحبها المديح عليها ؛ لأنها عندهم علامة العزّة ، والمنعة ، والسيطرة ، وكان سلب هذه الصفة من القبيلة العربية ، يعدّ هجاءً ومهانة . ومن اوجع الهجاء عندهم قول النجاشيّ الشاعر :

قُبيِّلةٌ لا يغـدرون بـذمـةٍ ولا يظلمون الناس حبَّة خَردَل

فالشطر الثاني من البيت ، الذي يتراءى للقارئ المسلم أنه مديح ، او مبالغة في المديح ، في الروح الإسلامية ، إنما هو هجاء ، أو مبالغة في الهجاء في الروح العربية الجاهليّة . ولذلك اشتكى المهجوّ به الى الخليفة عمر بن الخطّاب ، رضي الله عنه (١) .

وحين يعنّف الشاعر قُرَيْط بن اُنيْفَ (٢) ، قومه ، لايجد ابلغ في تعنيفهم ، من أن يقول :

لكنّ قومي ، وإن كانوا ذوى عَدَد ليسوا من الشرّ في شيئ وإن هانا

فالشطر الثاني من البيت هذا ، يتراءى للمسلم مديحاً ، وهو هجاء اللائم المعنّف ؛ لأن بني ذُهْل بن شيبان ، استباحوا إبله ، ولم ينصره قومه — مع كثرة عددهم — عليهم ، إذ يقول قبل بيته هذا :

---

(١) الشعر والشعراء لإبن قتيبة ؛ ٢٤٦/١ ط : بيروت .

(٢) قريط بن انيف ؛ من بلعنبر . ينظر معاني ابيات الحماسة للحسين النمرى ؛ ص : ٥ ط : مطبعة المدني بمصر ؛ بتحقيق الدكتور عسيلان .

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبح أبلي
بنو اللقيطة من ذُهل بن شيبانا

ويقول في سبيل المديح لبني مازن ، وفي سبيل التحريض على هؤلاء المستبيحين ، وفي التعنيف لقومه ، الذين لا يقتدون ببني مازن :

قومٌ إذا الشرُّ ابدى ناجِذيْه لهم طاروا اليه زرافات ووحدانا
لا يسألون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

وللملوكهم ورؤسائهم احاديث ترينا الغطرسة والتجبّر والظلم ، وهم يروونها مفتخرين ؛ لأنهم يرون فيها القوّة ، والعزّة ، والمنَعَة . فالنعمان بن المنذر ؛ ملك الحيرة ، يجعل لنفسه يوم بؤس ويوم نعيم . يلقاه الناس يوم نعيمه فيغدق عليهم ماشاء من عطائه ونعمه . ويلقاه الناس يوم بؤسه فيكون لهم القتل ، ولا سبب لهذا وهذا إلا اظهار التجبّر والغطرسة .

وعمرو بن هند – صاحب صحيفة المتلمّس المشهورة ، وقاتلُ طرفة بن العبد الشاعر المشهور– لُقّبَ بالمحرِّق(٣) ؛ لإحراقه بعض بني تميم في جناية جناها احدهم . وقالوا : إن عمرو بن كلثوم الشاعر ؛ صاحب المعلّقة ، قتله . وفي كتاب الكامل (٤) لابن الأثير : « وكان سبب قتله : أن قال يوماً لجلسائه : هل تعلمون أنّ احداً من العرب تأنف ان تخدم امُّه امّي !؟ قالوا : ما نعرفه إلا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبيّ ... فبعث الى عمرو بن كلثوم يستزيره ، ويأمره ان تزور امُّه ليلى امّ عمرو هنداً بنت الحارث .... وقدم عمرو بن كلثوم ، وبلغ ابن هند قدومه ، فضرب خيامه ... وارسل الى وجوه اهل مملكته ، فصنع لهم طعاماً ، ودعا الناس اليه . وجلس هو وعمرو بن كلثوم ، وخواصّ اصحابه في السُرادق » وقال ابن الأثير : « وقال

(٣) الأعلام للزركلي
(٤) ٥٤٧/١ ؛ ط : بيروت

لأمّه اذا فرغ الناس من الطعام ، ولم يبق الا الطُرَف ، فنحّي خدمك عنك ، واستخدمي ليلى ، ومريها فلتناولك الشيئ بعد الشيئ . وفعلت هند ، وقالت لليلى : ناوليني ذلك الطبق ، فقالت ليلى : لتقمْ صاحبة الحاجة الى حاجتها . والحّتْ عليها ، فصاحت ليلى : واذُلاّه ! يا آل تغلب ، فسمعها عمرو بن كلثوم فأسرع الى سيف عمرو بن هند ، فضربه به فقتله » .

ويروون عن وائل بن ربيعة ، الملقّب « بكُلَيب وائل » انّه حمى ارضاً من العالية ، في اوّل الربيع ، فكان لا يقربها احدٌ خشية منه . وقالوا : « انما (٥) لُقّبَ كُلَيباً ؛ لأنه كان اذا سار اخذ معه جروَ كلب ، فإذا مرَّ بروضةٍ ، أو موضع يعجبه ، ضربه ثم القاه في ذلك المكان ، وهو يصيح ويعوي ، فلا يسمع عواءه احدٌ إلاّ تجنّبه ، وتجنّب ذلك المكان » .

ويقول ابن الاثير (٦) عن عبد القيس : « وكانت سُنَّتهم اذا شُتِموا لطموا واذا لُطِموا قَتَلوا مَن لطَمَهم » .

ويفعل بعض ملوك الغساسنة فعل كليب : فيحمي ذا أُقرُ — وهو واد مملوء حمْضاً ومياهاً — ويتحاشاه العرب خيفةً منه . ويرى بنو ذُبيان ؛ قومُ النابغة الذبياني الشاعر ، في انفسهم القوّة لتحدّيه ، ورعْي ما حماه ، فيطلقون فيه نَعَمَهم . وينصحهم النابغة ، فيردون عليه : لو ظفروا بنا ما زادونا على الذي نراك تأمرنا به . ويوجّه عمرو بن الحارث الغسّاني اليهم خيله ، فيوسعهم قتلاً وسبياً . ويشير النابغة الى هذا ، بقوله (٧) :

لقد نهيت بني ذبيان عن أقُر ... وعن تربُّعهم في كل اصفار
وقلت : يا قوم إن الليث منقبض ... على براثنه لعـدوة الضاري

(٥) المصدر نفسه ، ٥٢٣/١
(٦) المصدر نفسه .
(٧) ديوان النابغة الذبياني ، ص : ٨١ — ٨٢ بتحقيق الدكتور شكري فيصل

وعمرو بن كلثوم يريد ان يفتخر ، ويبالغ في الفخر ، فيقول (٨) :

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطينا

لنا الدنيا ومن اضحى عليها ونبطش، حين نبطش ، قادرينا

نقول : هذه هي البيئة العربية التي جاء اليها الإسلام ! . وحسْبك من هذه البيئة ، ان يكون شعار اهلها : « انصر اخاك ظالماً او مظلوماً » . في هذه البيئة المتصارعة ، المضطربة في ضروب الضلال والظلم ، وضروب العصبيات والأدواء ، انبعثت الدعوة الإسلامية ، وجاءت دعوة عامة للجنس البشري ، بمختلف اراضيه ، وطبقاته ، وجنسياته ، والوانه . وفي فاتحة الكتاب العزيز : « الحمد لله رب العالمين » فهو — تعالى — ليس ربّ العرب وحدهم ، ولا ربّ قبيلة ، او طبقة منهم ، ولكنّه — سبحانه — ربّ العالمين ، يستوي في هذا العرب وغير العرب من امم الدنيا وتستوي طبقاتهم فيه . وهو لا يختص بمُسلّطين يحمون الأرض ويدفعون الناس عن رعيها ، وعن طرقها . ولا يختصّ بديانة سماويّة او غير سماويّة . إنه شامل بدعوته الناس جميعاً . قال — تعالى — (٩) : « قولوا آمنا بالله ، وما أنزل الينا ، وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل ، واسحاق ، ويعقوب ، والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيّون من ربّهم » وختم سبحانه هذه الآية الكريمة ، بقوله : «لا نفرّق بين احدٍ منهم ، ونحن له مسلمون». وقال تعالى(١٠): « ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والنصارى ، والصابئين ، مَن آمن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحاً ، فلهم اجرهم عند ربّهم ، ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون » .

---

(٨) شرح المعلقات ، ص ط :

(٩) سورة البقرة ؛ الآية : ١٣٦

(١٠) سورة البقرة ؛ الآية : ٦٢

وساوى – سبحانه – بين الناس ، وجعل كلّ امرئ مسؤولاً عن عمله ؛ يعاقَب عليه ، او يُثاب عليه ، « ولا تزر وازرة وزر اخرى » (١١) و « كلّ امرئ بما كسب رهين » (١٢) . وربّ العالمين – سبحانه – عادلٌ لا يرضى بالظلم . « ولا يظلم ربك احداً » (١٣) و « إن الله ليس بظلاّم للعبيد » (١٤) و « ان الله لا يظلم مثقال ذرّة وإن تكُ حسنة يضاعفها ، ويؤت من لدنه اجراً عظيماً » (١٥) .

وعظّم الاسلامُ العقلَ ، وجعل التعويل عليه في امر العقيدة ، والتَبعة والتكليف . ووجّه النظر – بعين العقل – الى امور الكون ، والى تدبّرها ، قال تعالى (١٦) : « إنّ في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفُلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما انزل الله من السماء من ماءٍ فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبثّ فيها من كلّ دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخّر بين السماء والأرض ، لآيات لقوم يعقلون » . وقال تعالى (١٧) : « كذلك يبيّن الله لكم الآيات ، لعلّكم تعقلون » وقال – سبحانه – : (١٨) « وهو الذي يحيي ويميت ، وله اختلاف الليل والنهار . أفلا تعقلون ! ؟ » .

وحسبنا من هذه المكانة التي اعطاها الإسلام للعقل ، ان ذهبت طائفة من المسلمين ، الى الإعتداد به ، والى المبالغة في هذا ، حتى تأوّلتْ بعضَ ماجاء

(١١) سورة فاطر ؛ الآية : ١٨
(١٢) سورة الطور ؛ الآية ٢١
(١٣) سورة الكهف ؛ الآية ٤٧
(١٤) سورة الأنفال ؛ الآية : ٥١
(١٥) سورة النساء ؛ الآية : ٤٠
(١٦) سورة البقرة ؛ الآية : ١٦٤
(١٧) سورة النور ؛ الآية : ٦١
(١٨) سورة المؤمنون ؛ الآية : ٨٠

في القرآن الكريم ، وحتى ذهب بعض المعتزلة في تفسير قوله تعالى (١٩) : « وماكنّا معذّبين حتى نبعث رسولا » قالوا : اي عقلاً (٢٠) . وزادوا على هذا ، بأن قالوا في تفسير قوله تعالى (٢١) : « لئلا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل » قالوا : اي بعد العقول (٢٢) .

واهل السنّة ، وإن لم يذهبوا معهم في تفسيرهم هذا ، إلا انهم عظّموا العقل ، وجعلوه عماد الدين . يقول الحسن البصري (٢٣) : « ينبوع الآداب هو العقل ، الذي جعله الله اصلاً ، وللدين عماداً » .

وحثّ سبحانه على تعلّم العلم ، وعلى التفكير ، وجعل الرجس على الذين لا يعقلون . قال — سبحانه — (٢٤) : « ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » . وسمّى الذين لا يعقلون دوابّاً ، بل شرّ الدوابّ . قال — تعالى — (٢٥) : « إن شرّ الدوابّ عند الله الصّم البكم ، الذين لا يعقلون » .

وجعل — سبحانه — ميزةً لأهل التفكير ، واهل العلم على غيرهم . قال تعالى (٢٦) : « قل : هل يستوي الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون !؟ » وقال تعالى (٢٧) : « وقال لهم نبيُّهم : إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً . قالوا : أنّى يكون له الملك علينا ونحن احقّ بالملك منه ، ولم يؤتَ سعةً من من المال ! ؟ قال : إن الله اصطفاه عليكم ، وزاده بسطةً في العلم . . . »

---

(١٩) سورة الإسراء ؛ الآية : ١٥
(٢٠) الدعوة الإسلامية — للدكتور احمد احمد غلوش ص : ٢٤٤
(٢١) سورة النساء ؛ الآية : ١٦٥
(٢٢) الدعوة الإسلامية — للدكتور غلوش ؛ ص : ٢٤٤
(٢٣) ادب الدنيا والدين — للماوردى ؛ ص : ٣
(٢٤) سورة يونس ؛ الآية : ١٠٠
(٢٥) سورة الأنفال ، الآية : ٢٢
(٢٦) سورة الزمر ، الآية ٩
(٢٧) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٤٧

وجعل – سبحانه – العلم ، نعمةً وخيراً ، قال سبحانه (٢٨) : « ومن يؤت الحكمة ، فقد اوتي خيراً كثيرا » . ورفع الله أهل العلم درجات على غيرهم . قال – تعالى – : « يرفَع الله الذين آمنوا منكم ، والذين اوتوا العلم درجات » (٢٩) .

وجعل الله اهل العلم ، هم الذين يتوجّه اليهم الناس ، لإستقاء المعرفة ، وهم اعرف واعلم ، بما في كتاب الله تعالى ، وهم اسرع الى الإيمان ، والى التصديق بما جاء فيه ؛ لأن عقلهم يهديهم الى هذا . قال تعالى (٣٠) : « أفمن يعلم أنمّا أنزل إليك من ربّك الحقّ ، كمن هو اعمى !؟ إنّما يتذكّر اولو الألباب » .

ولإعظام العقل وإكباره نهى الإسلام ان يركن الناس الى التقليد ، الذي يتّبع فيه الناس ، ما درج عليه الآباء والسلف ، من غير ان يعرضوا ما فيه على عقولهم ويروا ما فيه من خير او شر ، ومن خطأ او صواب ، وقد يكون اسلافهم او آباؤهم الأوائل ، هم الذين اخذوا ما اخذوا فيه ، عن ضلال . قال تعالى (٣١) : « وإذا قيل لهم اتّبعوا ما انزل الله . قالوا : بل نتّبع ما الفينا عليه آباءَنا ، أوَ لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ، ولا يهتدون !؟ » . وقال تعالى (٣٢) : « وإذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله ، والى الرسول . قالوا : حسبُنا ما وجدنا عليه آباءَنا . أوَ لو كان آباؤهم ، لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون !؟»

واذا كان العقل هو المعوّل عليه في الإيمان ، كان اوّل مدخل الى الإيمان ان يكون المرء قادراً ، على فهم ما يقال له ، ليُعمِل فيه عقله . قال

(٢٨) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٦٩
(٢٩) سورة البقرة ؛ الآية : ١١
(٣٠) سورة الرعد ؛ الآية : ١٩
(٣١) سورة البقرة ؛ الآية : ١٧٠
(٣٢) سورة المائدة ؛ الآية : ١٠٤

— سبحانه — (٣٣) : « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » فجعل القرآن يخاطب العرب ، وهم اوّل من دعوا الى الإسلام ، بلسانهم الذي يفهمونه . وجعلَ الرسول الكريم المخاطِب لهم ، إنساناً مثلهم ، يخاطبهم بلغتهم التي يفهمونها . قال تعالى (٣٤) : « قلْ : إنما انا بشر مثلكم يُوحى اليّ » .

وإذ عوّل الإسلام على العقل ، وعلى الضمير الإنساني ، وهو الناحية التي تتغيّر في الإنسان ، فتتغيّر معها نظرته الى امور الحياة ، وقد تنقلب مقاييسه في الخطأ والصواب ، وفي الخير والشرّ ، وفي ما هو حَسَنَ وغير حَسَن من الأمور والأعمال . تتغيّر نظرته الى ما الف من امور السلَف واعمال الآباء ، وقد يستحسن من اعمالهم ما سبق ان استقبحوه ، وان يستقبح من اعمالهم ما سبق ان استحسنوه . تتغيّر نظرته في الأعراف والعادات التي الفها تقليداً واتباعاً ... تتغيّر نظرته في مَن كان يراه شريفاً من الناس او وضيعاً منهم . وقد تتغيّر نظرته في الحاكم والمحكوم ... وفي الإجمال : لا حدود لهذا التغيير الذي ينشأ في نفس الإنسان حين يتغيّر ، او يتبدّل عقله ووجدانه .

على ان هذا التغيّر ، اول شروطه ، ان يكون بالحرّية والإقناع ، لا بالقسر والإكراه . ومن هنا كانت الحريّة في الرأى ، هي عماد الإيمان ، وسبيله الى هذا التغيّر الذي يحدث في العقل وفي الضمير . وقد دعا اليها القرآن الكريم ، وحبّذها بكلّ سُبُلها ، وكلّ صورها . ودعا الرسول الكريم الى الأخذ بحريّة الرأى والى الإعلان عنه بالصراحة ، والحريّة التامة ، وبالأسلوب السهل الهيّن ، الذي لا مواربة ولا سيطرة فيه ، ولا إكراه . قال تعالى(٣٥) : لا إكـــراه في الدين . قـــد تبيّن الرشد من الغـــيّ » . وفي كشّاف

(٣٣) سورة يوسف ؛ الآية : ٢
(٣٤) سورة الكهف ؛ الآية : ١١٠
(٣٥) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٥٦

الزمخشري ؛ في تفسير هذه الآية الكريمة (٣٦) : « أي لم يُجر الله امر الإيمان على الإجبار والقسْر ، ولكن على التمكين والإختيار ، ونحوه قوله تعالى : « ولو شاء ربّك لآمن مَن في الأرض كلّهم جميعاً ، أفأنت تُكرِه الناس حتى يكونوا مؤمنين !؟ » اي لو شاء لقسرهم على الإيمان ولكنّه لم يفعل ، ولكنّه بنى الأمر على الإختيار » وقال تعالى (٣٧) : « ولو شئنا لآتينا كلَّ نفس هداها » وقال تعالى (٣٨) : « فذكّرْ إنما انت مذكّر ، لست عليهم بمصيطر » . وقال — سبحانه — (٣٩) : « وما انت عليهم بجبّار ، فذكّرْ بالقرآن من يخاف وعيد » .

ورأى الإسلام أن ليس مؤمناً ، مَن قال لسانه بالإيمان ، وقلبه غير مطمئن به . قال تعالى (٤٠) : « ومِن الناس مَن يقول : آمنّا بالله واليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين » . واشار — سبحانه — الى هؤلاء المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ، ما ليس في قلوبهم ، ونعتهم بالكذب ، وإن بالغوا بألسنتهم بالقول بالإيمان . قال تعالى (٤١) : « إذا جاءك المنافقون ، قالوا : نشهد إنّك لرسول الله . والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون » ورأى — سبحانه — هذه الفئة اعدى اعداء الإسلام ، فوصفهم بالمبالغة في العداوة ، قال سبحانه فيهم (٤٢) : « هم العدوّ فاحذرهم » .

---

(٣٦) الكشاف : ؛ ٣٠٢/١ ، ط : بيروت

(٣٧) سورة السجدة ، الآية :

(٣٨) سورة الغاشية ، الآية : ٢٠ — ٢١

(٣٩) سورة ق ، الآية :

(٤٠) سورة البقرة ، الآية : ٧

(٤١) سورة المنافقون ؛ الآية : ١

(٤٢) سورة المنافقون ؛ الآية : ٣

ومن هنا اوصى – سبحانه – ان يحاوَر غيرُ المسلمين بالرفق ، والا يُغلَظ لهم في القول ، في المحاورة والجدل . وبيّن للرسول الكريم ان يُطيل في جدلهم ، وان يكون غاية ما يبلغه فيه البيان والوضوح . قال تعالى (٤٣) : « فإن اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ، إن عليك إلا البلاغ » .

وتلطّف – سبحانه – في مجادلة اهل الكتاب ، وكانوا اكثر جدلاً من غيرهم ، تلطّف حتى قال (٤٤) : « ولا تجادلوا اهل الكتاب إلاّ بالتي هي احسن » . وقد دارت لفظة الجدل ، وما اشتُق منها اكثر من ثلاثين مرة (٤٥) في القرآن الكريم . والجدل في اللغة (٤٦) : هو اللّدَدُ والخصومة ، والقدرة عليهما . والجدال : المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة . وقد ذهب الراغب الإصفهاني في كتابه : « مفردات غريب القرآن » الى القول : الى ان الأصل في الجدال : هو الصراع ، واسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة . والجدالة : هي الأرض الصلبة .

وانبيّن ما تحويه العبارة : « بالتي هي احسن ، التي ذكرها – سبحانه – في آية المجادلة هذه ، نسوق ما قاله الزمخشري في تبيانها ، حين عرض للآية الكريمة : « ولا تستوي الحسنة ، ولا السيئة ، ادفعْ بالتي هي احسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم » . قال الزمخشري : « إن الحسنة والسيئة متفاوتتان في انفسهما ، فخذ بالحسنة التي هي احسن من اختها ، إذا اعترضتك حسنتان ، وادفعْ بهما السيئة ، التي ترد عليك من بعض اعدائك » واراد ان يزيد بيانه هذا ايضاحاً فقال : « ومثال ذلك : رجلٌ اساء اليك اساءة ، فالحسنة ان تعفو عنه . والتي احسن من هذه الحسنة ، ان تحسن اليه مكان اساءته

(٤٣) سورة الشورى ؛ الآية ٤٨
(٤٤) سورة العنكبوت ؛ الآية ٤٦
(٤٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ؛ محمد فؤاد عبد الباقي
(٤٦) القاموس المحيط – الفيروز آبادى

اليك » وزاد في بيانه هذا ، فقال : « مثل ان يذمّك ذامّ فتمدحه . ثم زاد على هذا ، حتى قال : ويقتل ولدك فتفتدي والده من يد عدوّه . فإنك اذا اذا فعلتَ ذلك انقلب عدوّك المشاق ، الى مثل الوليّ الحميم مصافاةً لك .

وبعد ان استمعت الى تفسيره هذا ، لعبارة « بالتي هن احسن » استمعْ الى قوله تعالى : « ولا تجادلوا اهل الكتاب إلا بالتي هي احسن ! » . ثم يشير — سبحانه — الى هذا الجدل « بالتي هي احسن » فيبيّنه ، وكأنه يحدّده بألفاظه وعباراته ، فيقول للمسلمين : « وقولوا : آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم ، وإلاهنا والاهكم واحد ، ونحن له مسلمون » (٤٧) . فانظر الى هذه الآية الكريمة ، والى ما يملأ نفسك من روح الرقة والتسامح في حريّة الرأى ، وفي الإعلان عنه ، وفي طريقة الجدل ، او الأخذ والردّ فيه . وانظر ايّ روح ينبعث منه الى نفسك ، في قوله تعالى : « آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم ، وإلاهنا وإلاهكم واحد ! »

وانظر الى الآية الكريمة ايضاً ، في قوله تعالى (٤٨) : « ادعُ الى سبيل ربّك بالحكمة ، والموعظة الحسنة . وجادلهم بالتي هي احسن . إنّ ربّك هو اعلم بمن ضلّ عن سبيله ، وهو اعلم بالمهتدين » . وانظر الى التلطّف الكريم ، في الإعلان عن حرّية الرأى ، وفي طريقة الجدل فيه . إنه — سبحانه — لم يقل صراحة لرسوله الكريم : إنك انت على حق ، مع انه — صلّى الله عليه وسلم — على الحقّ . ولم يقل — تعالى — صراحة : إنهم على باطل ، مع انهم كانوا حقاً على باطل . ولكنّه تأنى لإيراد هذا المعنى بالصورة الحسنة ، التي لا تغضب المجادل ، الذي اعطاه الحريّة الكاملة في الأعلان عن رأيه ، فقال — سبحانه — : « إن ربّك هو اعلم بمن ضلّ عن سبياه ، وهو اعلم بالمهتدين » .

---

(٤٧) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٩ (٤٨) سورة النحل ، الآية : ١٢٥

نقول : بهذه الروح من الحريّة والتسامح ، دعا الإسلام الى الإعلان عن الرأى ، والى الأخذ بالتلطّف فيه ، بالقول وبالفعل .

وبهذه الروح السمحة الكريمة ، كان الرسول الكريم يستمع لرأى اصحابه ، وقد يكون بعضها مخالفاً لرأيه ، في احرج الأوقات واضيقها ، وأشدها عسراً . يقول — صلى الله عليه وسلم — لأصحابه في حرب بدْر : هنا فانزلوا . ويسمَع اصحابه رضوان الله عليهم الى قوله ، وقد عوّدهم الإعلان عن رأيهم بحريّة وصراحة ؛ عوّدهم حريّة الرأى ، فيشير عليه احدهم برأى مخالف ، يراه — صلوات الله عليه — صواباً ، فينزل عن رأيه ، ويأخذ بالرأى المخالف . جاء في سيرة ابن هشام (٤٩) ، في الحديث عن حرب بدر : « ومضت قريش حتى نزلوا بالعُدُوة القُصوى من الوادي .... فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، يبادرهم الى الماء ، حتى اذا جاء ادنى ماء من بدر نزل به ... قال ابن اسحاق : فُحدِّثت انهم ذكروا ان الحبُاب بن المنُذر بن الجموح ، قال : يا رسول الله ! أرأيتَ هذا المنزل ، أمنزلاً انزلكه الله ، ليس لنا ان نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة . فقال : يا رسول الله : فإن هذا ليس بمنزل ، فانهضْ بالناس حتى نأتي ادنى ماء من القوم ، فننزله . ثم نغوِّر ما وراءه من القُلُب ، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماءً . ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون . فقال : رسول الله — صلّى الله عليه وسلم — : لقد اشرتَ بالرأى . فنهض — صلى الله عليه وسلم — ومن معه من الناس ، فسار ، حتى إذا اتى ادنى ماء من القوم نزل عليه ، ثمَّ امر بالقُلُب فغوِّرت . وبني حوضاً على القليب الذي نزل عليه ، فمُلئ ماءً ثم قد قذفوا فيه الآنية » .

(٤٩) سيرة ابن هشام ؛ ٦٢٠/٢ ط : الحلبي بالقاهرة

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي (٥٠) : « واخرج احمد عن عبدالرحمن ابن غنم ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلّم ، قال لأبي بكر وعمر : لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما » .

وقال السيوطي (٥١) : « واخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود ، رضى الله عنهما ، قال : « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئ » .

وبايع الناس ابا بكر بيعته العامة ، بعد بيعة السقيفة ، ثم تكلّم . فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : « اما بعدُ ، أيها الناس ! فإني قد وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فإن احسنتُ فأعينوني ، وإن اسأت فقوّموني . الصدق امانة ، والكذب خيانة . اطيعوني ما اطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله ، فلا طاعة لي عليكم » .

وتراه في كلمته الموجزة البليغة هذه، يبيّن للناس أنه ، وإن وُلّي عليهم ، فهو ليس ببخيرهم ، وكأنه بإشارته هذه يبيّن انه لا يرى رأيه احسن الآراء ؛ وانه يدعو اهل الرأى الى معونته ، ثم يزيد في هذا فيقول : فإن احسنت فأعينوني ، وإن اسأت فقوّموني ... وكأنه — رحمه الله — يتوهّم ان بعض أهل الرأى وأهل الفضل قد يحجمون عن معونته فيما هو حسن ، او يحجمون عن تنبيهه او تقويمه — وهو الخليفة — عمّا هو سيئ . أو انهم يطاوعونه على امر يراه حسناً ، ولا يرونه كذلك ، ويسكتون ؛ لأنه الخليفة . نقول : كأنه يتوّهم هذا ، فيقول — رضى الله عنه — : الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، فهو يحثهم بهذا الى عدم التواني في تنبيهه الى ما هو حسن ، والى تقويمه ، اذا ما رأوا جَنَفاً منه . ويختم كلمته هذه بأن يدعوهم الى طاعته ، ما اطاع الله ورسوله ، ولا طاعة له عليهم في غير هذا .

---

(٥٠) ص : ٥١ (٥١) تأريخ الخلفاء ؛ ص : ٦٦

هذا موقف ابي بكر ، من حرية الرأى ومن الأخذ به ، إنه يرى سكوت الناس عن حق ، او سكوتهم عن باطل ، خيانة لدينهم وعقيدتهم . وهذا موقفه في خلافته وحكمه .

وحين الحّ عليه المرض اسرع الى الإستشارة والرأى . قال الحسن (٥٢) البصري : « لما ثقل ابو بكر ، واستبان له من نفسه ، جمع الناس اليه ، فقال : إنه قد نزل بي ما قد ترون . ولا اظنّني إلا ميتاً لما بي ، وقد اطلق الله ايمانكم من بيعتي ، وحلّ عنكم عقدتي ؛ وردّ عليكم امركم ، فأمّروا عليكم من احببتم ، فإنكم إن امّرتم في حياة منّى ، كان اجدر الا تختلفوا بعدي » . فقاموا في ذلك ، فلم يستقم لهم امرٌ ، فرجعوا اليه ، فقالوا : رأينا يا خليفة رسول الله رأيك . قال : فأمهلوني حتى انظر لله ، ولدينه ولعباده » .

وفي كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة (٥٣) الدينوري في الحديث عن ابي بكر : « قال : ثم امر ان تجتمع له الناس ، فاجتمعوا ، فقال : ايها الناس ، قد حضرني من قضاء الله ما ترون ، وإنه لابد لكم من رجل يلي امركم ، ويصلّي بكم ، ويقاتل عدوّكم ، فيأمركم ، فإن شئتم اجتمعتم فائتمرتم ، ثم ولّيتم عليكم من اردتم ، وإن شئتم اجتهدت لكم رأيي . ووا لله الذي لا اله الا هو ، لا الوكم في نفسي خيراً . قال : فبكى ، وبكى الناس ، وقالوا : يا خليفة رسول الله ! انت خيرنا واعلمنا ، فاختر لنا ، قال : سأجتهد لكم رأيي ، واختار لكم خيركم إن شاء الله ، فخرجوا من عنده»

---

(٥٢) سيرة عمر بن الخطاب ، لابن الجوزى . وعلي الطنطاوي في كتابه : « ابو بكر الصديق » ؛ روايات صحيحة مجموعة من نحو مائة كتاب ؛ ص : ٢٢٥

(٥٣) ١٩/١

ثم انه دعا (٥٤) – بعد ذلك – عبدالرحمن بن عوف ، فقال له : اخبرني عن عمر بن الخطّاب . فقال له : ما تسألني عن أمرٍ إلا وانت اعلم به منّي . فقال له : وإن ... فقال عبدالرحمن : هو – والله – افضل من رأيك فيه . ثمّ دعا عثمان ، فقال له مثل ذلك . فقال : علمي به ان سريرته خيرٌ من علانيته ، وأنه ليس فينا مثله . فقال له ابو بكر : يرحمك الله ، والله لو تركته ما عدوتك . ثم شاور سعيد بن زيد ، واسيد بن الحُضَير ، وغيرهما من المهاجرين والأنصار ، فقال اسيد : اللهمّ اعلمه الخيرة بعدك . يرضى للرضا ، ويسخط للسخط ، والذي يُسرّ خيرٌ من الذي يُعلن ، ولن يلي هذا الأمر احدٌ اقوى عليه منه » .

قال ابن قتيبة (٥٥) : « ثم دخل عليه اناس من اصحاب رسول الله صلى عليه وسلم ، فقالوا : يا خليفة رسول الله ! ألا ندعو لك طبيباً ينظر اليك ؟ فقال : قد نظر اليّ . قالوا : فماذا قال ؟ قال : إني فعّال لما اريد ... ثم دعا عثمان بن عفّان ، فقال اكتب عهدي ، فكتب عثمان واملى عليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد به ابو بكر بن ابي قحافة ، آخر عهده في الدنيا نازحاً عنها ، وأوّل عهده بالآخرة داخلاً فيها : إني استخلفت عليكم عمر بن الخطّاب ، فإن تروه عدل فيكم ؛ فذلك ظنّي به ورجائي فيه ، وإن بدّل وغيّر فالخير اردت ، ولا اعلم الغيب . وسيعلم الذين ظلموا ايّ منقلب ينقلبون . ثم ختم الكتاب ودفعه » .

وفي تأريخ الخلفاء للسيوطي (٥٦) ، باسناد يرويه : « لما ثقل ابو بكر ، اشرف على الناس ، من كوّة ، فقال : ايها الناس ! إني قد عهدت عهداً ،

---

(٥٤) علي الطنطاوي – في كتابه : « ابو بكر الصديق ؛ ص : ٢٢٥

(٥٥) الإمامة والسياسة ؛ ص : ١٩

(٥٦) ص ؛ ٨٣ ، وعلي الطنطاوي ؛ ص : ٢٢٧ . ومختصر الموافقة للزمخشري

افترضونه ؟ فقال الناس : رضينا يا خليفة رسول الله ! فقام عليّ ، فقال : لا نرضى إلاّ ان يكون عمر . قال : فإنه عمر » وقال ابن الأثير (٥٧) : « وكان ابو بكر اشرف على الناس . وقال : أترضون بما استخلفت عليكم ؟ فإني ما استخلفت عليكم ذا قرابة . وإني استخلفت عليكم عمر ، فاسمعوا له ، وأطيعوا . فقالوا : سمعنا واطعنا » « وأقرّوا بذلك جميعاً (٥٨) ، ورضوا به ثم بايعوا ، فرفع ابو بكر رضى الله عنه يديه ، فقال : اللهمّ إني لم ارد بذلك إلا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة ، فعملت فيهم ما انت اعلم به ، واجتهدت لهم رأيي ، فولّيت عليهم خيرهم ، واقواهم عليه ، واحرصهم على ما ارشدهم . وقد حضرني من امرك ما حضر ، فأخلفني فيهم ، فهم عبادك ، ونواصيهم بيدك ، واصلح لهم اميرهم ، واجعله من خلفائك الراشدين ، يتبّع هدى نبيّ الرحمة ، وهدى الصالحين بعده ، واصلح له رعيته ، ثم دعاه فأوصاه » .

ويبدو ان بعض الصحابة — رضى الله عنهم — لم يرضهم استخلاف عمر ، وانهم عاتبوا ابا بكر على هذا (٥٩) : « فقال له قائل منهم : ما انت قائل لربك ، اذا سألك عن استخلافك عمر علينا ، وقد ترى غلظته ، وهو اذا ولي كان أفظّ واغلظ ! ؟ فقال ابو بكر ، رضى الله عنه — وكان نائماً في مرضه — : اجلسوني ، فلما جلس ، قال : أبالله تخوّفوني ! ؟ خاف من تزوّد من امركم بظلم ! اقول : اللهمّ إني قد استخلفت على اهلك خير اهلك . ثم قال للقائل : ابلغ عنّي ما قلتَ مَن وراءَك » .

---

(٥٧) الكامل ؛ ٤٢٤/١

(٥٨) علي الطنطاوي « ابو بكر الصديق ؛ ص : ٢٢٧ ، وطبقات ابن سعد وتأريخ الخلفاء

(٥٩) ينظر الإمامة والسياسة — لإبن قتيبة ؛ ص : ١٩ . والطنطاوي في كتابه ؛ ابو بكر الصديق ؛ ص : ٢٢٥

« وعن معيقب بن ابي فاطمة(٦٠) . قال : كنت على نفقة ابي بكر ، فلما كان مرضه الذي توفى فيه ، أتيته فوجدت عنده بعض الصحابة خالياً به يعاتبه باستخلافه عمر ، فأردت ان ارجع ، فأشار اليّ ان اجلس فجلست ، فارتفع الكلام ، فسمعت ابا بكر ، يقول : لا والله ، ولا نعمة عين ، هو والله خيرٌ لكم ، والله ! لو ولّيتك لجعلتَ انفك في السماء ، ولرفعتَ نفسك فوق قدرك ، حتى يكون الله هو الذي يضعك .... ثم قام فخرج ؛ فدنوت منه إذ قيل : عثمانُ وعليٌ بالباب ... فأذن لهما ، ثم قال : لعلكما تقولان في عمر ، ما قال فلانٌ آنفاً ؟ قالا : وما ذا قال يا خليفة رسول الله ؟ قال : زعم ان عمر احدثكم اسلاماً و (ذكر خصالاً اخرى) . قال عثمان رضى الله عنه : بئس لَعَمرُ الله ما قال فلان . عمر بحيث يحب من قوّته مع سابقته . وقال عليّ رضى الله عنه : بئس ما قال : عمر عند ظنّك به ، ورأيك فيه ، إن وليته ، مع انه قد كان والياً معك — تحظى برأيه وتأخذ منه ، فامض لما تريد ، ودع مخاطبة الرجل ، فإن يكن على ما ظننت إن شاء الله فله عمدتَ ، وإن يكن ما لا تظن لم ترد إلا الخير » .

وقالوا : إن ابا بكر قال : (٦١) « والله ما آسى الا على ثلاث فعلتهن ، ليتني كنت تركتهنّ ، وثلاث تركتهنّ ليتني فعلتهن ، وثلاث ليتني سألت رسول الله عنهنّ » قال ابن قتيبة (٦٢) : « ... واما الثلاث اللاتي كنت اودّ اني سألت رسول الله صلّى عليه وسلم عنهنّ ؛ فليتني سألته لمن هذا الأمر من بعده ؟ فلا ينازعه فيه احد . وليتني كنت سألته هل للأنصار فيها

(٦٠) الكتاب السابق ؛ ص : ٢٢٧ — ٢٢٨ ، . ومختصر الموافقة للزمخشري .
وفي حاشية الطنطاوي ، عن معيقب ، انه شهد المشاهد بعد بيعة الرضوان وكان من مهاجرة الحبشة ، وكان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ثم على بيت المال لعمر ، ثم كان على خاتم عثمان ، ومات في خلافته ، وقيل : عاش الى بعد الأربعين « رضى الله عنه »
(٦١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ٣٠٨/١ ط — بيروت
(٦٢) الإمامة والسياسة ، ١٩/١

– أي الخلافة – من حق ، وليتني كنت سألته عن ميراث بنت الأخ والعمّة ، فإن في نفسي من ذلك شيئاً » .

وبعدُ ، فقد افضنا في الحديث عن ابي بكر ؛ في موقفه من الخلافة . لقد ودّ رحمه الله – لو انه سأل الرسول الكريم عمن يلي امرها بعده ، وعمّا إذا كان للأنصار فيها من حق . وحين لم يكن هذا ، رأى اخذاً بالآية الكريمة : « امرهم شورى بينهم » ان يشاور فيها اهل المكانة والرأى من الصحابة الكرام . وحين اشاروا عليه باستخلاف عمر ، عمل برأيهم ، واعلن هذا للناس ، وبيّن لهم انه راعى صالح المسلمين ، ولم يعهد بها الى ذي قرابة له .

ولا عجب في هذا . لقد كرّس – رحمه الله – ماله ، وحياته في سبيل الإسلام . وكانت وصيّته لابنته عائشة – رضى الله عنهما – (٦٣) : « إننا منذ ولينا امر المسلمين ، لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً . ولكن قد اكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا . فانظروا ما زاد من مالي ، منذ دخلت هذه الإمارة ، فابعثوا به الى الخليفة من بعدي وابرأوا منهنّ ؛ فإني قد كنت استحلّه واستصلحه جهدي » « فإذا (٦٤) انا متّ فردّي اليهم صحفتهم ، وعبْدهم ، ولقحتهم ورحاهم ، ودثارة ما فوقي اتقيت بها البرد ، ودثارة ما تحتي اتقيت بها نزّ الأرض . كان حشوها قطع السعف » و « انظروا (٦٥) ملاءتيّ هاتين ، فإذا متّ فاغسلوهما ، وكفّنوني فيهما . قالت عائشة : يا ابتاه ! قد رزق الله واحسن ؛ نكفّنك في جديد . قال : إن الحيّ احوج الى الجديد يصون به نفسه من الميت . إنما يصير الميت الى الصديد والى البلى » .

(٦٣) الطنطاوي ؛ ص : ٢٣١ نقلا عن : ابن سعد

(٦٤) العقاد ؛ عبقرية الصديق ؛ ص ١٧٧

(٦٥) الطنطاوي ؛ ص ٢٣٢ ، نقلا عن ابن سعد

وولّى عمر . يقول المسعودي عنه(٦٦)« وكان متواضعاً خشن الملبس، شديداً في ذات الله . واتبعه عمّاله في سائر افعاله وشيمه واخلاقه . وكان يلبس الجبّة الصوف المرقعة بالأدم ، ويشتمل بالعباءة ، ويحمل القربة على كتفه ، مع هيبة رُزقها » ويقول ابن قتيبة (٦٧) : « فعمل عشر سنين بعد ابي بكر ، فو الله ما فارق الدنيا ، حتى احبَّ ولايتَه مَن كرهها . لقد كانت إمرتُه فتحاً ، واسلامه عزاً ونصراً . اتبع في عمله سنّة صاحبيه وآثارهما ، كما يتبع الفصيل اثر امّه . ثم اختار له الله ما عنده » .

ويذكر الطبري (٦٨) باسناد يرويه : « ان رهطاً اتوا عمر ، فقالوا : كثُر العيال واشتدّت المؤونة ، فزدْنا في اعطياتنا ، قال عمر : فعلتموها ! جمعتم بين الضرائر ، واتخذتم الخدم في مال الله عزّوجل ! اما والله لوددت اني واياكم في سفينة في لجّة البحر ؛ تذهب بنا شرقاً وغرباً ، فلن يعجز الناس ان يولوا رجلاً منهم ، فإن استقام اتّبعوه ، وإن جنف قتلوه .. فقال طلحة : وما عليك لو قلت : إن تعوّج عزلوه ؟ فقال : لا ، القتل انكل لمن بعده » .

هذه حاله في خلافته ، وعمله ، وحرصه . امّا موقفه من الرأى وحرصه على الإستماع له ، فحسبنا منه ان يقف على المنبر ، فيقول : « ايها الناس ! مَن رأى منكم فيَّ اعوجاجاً فليقوّمه » فيرد عليه رجل من عرض الناس ، بقوله : والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقوّمناه بسيوفنا » . ومع جفاف هذا الردّ وغلظه ، لا يرى عمر فيه بأساً ، بل يقول بلسان الحامد الشاكر : « الحمد لله الذي جعل في امّة محمد ، من يقوّم اعوجاج عمر بسيفه » .

---

(٦٦) مروج الذهب ؛ ٣١٣/٢

(٦٧) الإمامة والسياسة ؛ ٢٣/١

(٦٨) تاريخ الطبري ؛ ٢١٣/٤

وفي المبسوط للسرخسي (٦٩) : « ان عمر كان يستشير الصحابة ، مع فقهه ، حتى اذا رفعت اليه حادثة ، قال : ادعوا لي عليّاً ، وادعوا لي زيداً . . . . فكان يستشيرهم ، ثم يفصل بما اتفقوا عليه » وعن الشعبي ، قال : « كانت القضية ترفع الى عمر ، رضى الله عنه ، فربّما تأمّل في ذلك شهراً ، ويشير اصحابه » . وكان رحمه الله ، يُشتكى اليه من هجاء النجاشيّ الشاعر ، ومن هجاء الخطيئة ، ويسمع الهجاء ، وهو الأديب الذوّاقة ، العارف بالشعر ، فلا يرى ان يفصل في الأمر بغير الإستماع الى الرأى فيه .

هذه حالة في الحرص على الاستماع الى الرأى ، ثم كانت استشارته للكبرى في مَن يتولى الخلافة بعده . قال ابن قتيبة (٧٠) : « ثم ان المهاجرين دخلوا على عمر رضى الله عنه ، وهو في البيت من جراحه تلك ، فقالوا : يا امير المؤمنين ! استخلفْ علينا . قال : والله لا احملكم حيّاً وميتاً . ثم ثم قال : إن استخلفت ، فقد استخلف من هو خيرٌ منّي ، يعني ابا بكر . وإن ادع فقد ودع من هو خيرٌ منّي ، يعني النبي عليه الصلاة والسلام . فقالوا : جزاك الله خيراً يا امير المؤمنين ، فقال : ما شاء الله راغباً ، وددتُ ان انجو منها لا لي ولا عليّ » ثم بلغه ان عائشة ، رضى الله عنها ترى الا يدع امّة محمد بلا راع ؛ لأنها تخشى عليهم الفتنة . ويقول ابن قتيبة ايضاً انه قال : « ولكني سأستخلف النفر الذين توفي رسول الله ، وهو عنهم راض ، فأرسل اليهم فجمعهم ، وهم عليّ ابن ابي طالب ، وعثمان بن عفّان ، وطلحة ابن عبيدالله ، والزبير بن العوّام ، وسعد بن ابي وقاص ، وعبدالرحمن بن عوف ، رضوان الله عليهم » وكان طلحة غائباً ، فقال : يا معشر المهاجرين الأولين ! إني نظرت في امر الناس ، فلم اجد شقاقاً ولا نفاقاً فإن يكن بعدي

(٦٩) فجر الإسلام لأحمد امين ؛ ص : ٢٣٩

(٧٠) الإمامة والسياسة ؛ ١/٢٥

شقاق ونقاق فهو فيكم ، تشاوروا ثلاثة ايام ، فإن جاءكم طلحة الى ذلك ، والإ فاعزم علتكم بالله الا تتفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا احدكم . فإن اشرتم بها الى طلحة فهو اهل لها . وليصلّ صهيب هذه الثلاثة الأيام التي تشاورون فيها . واحضروا معكم من شيوخ الأنصار ، وليس لهم من امركم شيئ ، واحضروا معكم الحسن بن عليّ ، وعبدالله ابن عبّاس ، فإن لهما قرابة ، وارجو لكم البركة في حضورهما ، وليس لهما من امركم شيئ . ويحضر ابني عبدالله مستشاراً ، وليس له من الأمر شيئ . قالوا : يا أمير المؤمنين ! إن في خلافته موضعاً فاستخلفْه ، فإنا راضون به . فقال : حسبُ آل الخطّاب تحمّل رجل منهم الخلافة ، ليس له من الأمر شيئ . ثمّ قال : يا عبدالله إيّاك ثم إياك ، لا تتلبّس بها » .

وتشاوروا بعد موت عمر ، وآل الأمر الى عثمان ، رضى الله عنه . قال ابن قتيبة ايضاً : « وبايع الناس جميعاً ، فكان عثمان رضى الله عنه ست سنين في ولايته ، وهو احبّ الى الناس من عمر بن الخطّاب رضى الله عنه . وكان عمر رجلاً شديداً ، قد ضيّق على قريش انفاسها ، لم ينل احد معه من الدنيا شيئاً ، إعظاماً له واجلالاً ، وتأسّياً به واقتداءً ، فلما وليهم عثمان ، ولي رجل لين » .

— يتبع —

★ ★ ★